Türkiyo Diyanoi Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Araştırmaları Merkezi

القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد

لابن عطاء الله السكندري

1990

دار قتيبة
للطباعة والتوزيع والنشر
دمشق - شارع سليم الجباوي - بناية طلس وزيان

- جميع الحقوق محفوظة -

الطبعة الثانية

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع مسلم البارودي - تجاه كراج لبنان الموحد - بناء طلس وديات - ص.ب : ١٢٤١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذى نور قلوب أوليائه بأنوار هدايته . وصفى اسرارهم لتجلى صفة جلاله وجماله وكمال عظمته . وأخلصهم للعكوف على بساط أنسه بالقرب من حضرته . وخلصهم وخصصهم لمناجاته ومحادثته ومكالمته ومخاطبته . وأنبأهم وعرفهم بحقائق سر أسماء ربوبيته . فتجلى لهم بأسمائه وصفاته ففاضت عليهم بالاشراق أنوار شمس معرفته . وقبض عن نفوسهم كل تلوينها وأمد على قلوبهم ضياء تمكين خصوصيته . ففهمهم وألهمهم ونبههم لحسن آداب مجالسته . ثم كشف لهم عن جمال كمال بهاء وجهه الكريم فاستغرقهم من عنايته . وأظهر لهم من غرائب صنعه وإتقان فعله وبدائع حكمته . ماشهدوا به من عجائب ملكه وملكوته وجبروته فغابوا وفنوا به عنهم عند معاينته ومشاهدته . ثم ثبتهم وأبقاهم به وآنسهم بلطف رحمته وأدناهم بكرمه . وقربهم بلطفه وعاملهم بفضله وسقاهم من شراب محبته . وأودعهم أسراره ووهبهم ذخائره وجعل أس ذلك وأصله فى معرفة اسم إلهيته وسترفيه سره عمن شاء فحجب أشكال صور معروفة وعدد جملته

فبداية فهمه فى أول ألفه ونهاية علمه فى معنى آخر هاء هويته فطوبى لمن رفعت له حجب ظلم معنى ظاهره عن نور معنى باطنه حتى جنى سر ثمرته . وانتشق طيب عبيره وذاق طعمه ولذيذ حلاوته . وعلم منه وشاهد به مافى الوجود من عوالم ظاهره ومعالم باطنه علويه وسفليه على كيفية ذاته وحقيقة ماهيته . وتم له تصرف فى ملك مملكته بأمر كن فى الوجود بوجود الأشياء على حسب مقتضى إرادته . فلله الحمد بكماله كما ينبغى ويجب لجلاله على ماأسبغ فى الظاهر والباطن من تمام نعمته

ونشهد لله باخلاص توحيده وتحقيق وحدانيته . لاإله إلا هو الواحد فى ذاته العظيم فى صفاته والعزيز فى فردانيته . ونشهد لنبيه ورسوله بكمال نبوته وعموم رسالته وتخصيص عبوديته . محمد صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وعترته . وذريته وأهل بيته ورضى الله عن جميع أصحابه وتابعيهم أبداً باحسان من امته وأهل ملته

وبعد فان إكسير الزيادة . وكيمياء السعادة . وقاعدة كل قدم وحال ومقام . وأس أصول دعائم الاحسان والايمان والاسلام . هومعرفة التوحيد . المجردعن إضافة التقييد . المحفوظ عن تصميم التقليد الموصوف بعلم الأسماء والصفات . المتنزه عن حدوث طرق الآفات الجامع لذكر معانى اسم الالهية . المشتملة

على جملة لطائف الأسرار المعنوية . والذخائر النفيسة المصونة . والجواهر الثمينة المكنونة . وهو أصل المعارف الدينية . ومحل العوارف اليقينية . لأن شرف العلوم على قدر شرف المعلوم . وشرف العالم على قدر شرف علمه . ولاشىء أشرف من الحق وطلبه . ولاشىء أشرف فى الدنيا من معرفة الله وقربه . ولاشىء أشرف فى الجنة من النظر إلى وجهه . وكل علم موقوف على معلومه وشرفه بشرفه . وعلم التوحيد موقوف على معرفة الواحد وصفة وحدانيته . ومعرفة الله هى الغاية القصوى . واللباب الأصفى . ومشرب عذب لكل عبد وارد . ولا يصل للتنعم بشربها إلا واحد بعد واحد . وهى المطلوبة لذاتها وعين الزيادة . وبها تنال أعظم الأحوال وأتم الافادة . وإن بداية السالك طلب المعرفة . ونهاية غايته توحيد الذات والصفة . لأن معرفة الله غاية الغايات . وتوحيده أجل وأكمل النهايات . والعلم به يفيد ذات الذاكر بيانا وتحقيقا . والعمل بمقتضاه يزيد فى صفات السائر برهانا وتوفيقا . ومن أخذ من العلوم والحكم أشرفها وأرفعها . ومن المعانى صفوها وألطفها وأنفعها . وفهم حكم باطنية أمرها . وعلم حكم علانيتها وسرها . فقد تجوهر باطن قلبه . وتمهد ظاهر أدبه . وتسمى فى الحقيقة إنسانا . وشاهد الحق حقا عيانا . وصار الخير بالذات . فى الأوصاف والصفات

وعرف الله إيمانا ويقينا . وصنعته بيانا وتبيينا[1] . وقد أودع فيها من اللطائف الغريبة . والنكت والعلوم والمعارف العجيبة . مايكتفى بقدره . ويستغنى بذكره . من غرائب العلم . وعجائب الحكم . وفرائد الطرف . وفوائد التحف . وسماها رسالة ﴿القصد المجرد . فى معرفة الاسم المفرد﴾ وهو الله جل ذكره وعز قدره . وحصر مجموعها فى قسمين . ضابطين لها محكمين . وأتى على كل قسم منهما بشاهد أدلة صحيح منقول البيان . ومعقول صحيح البرهان . من الكتاب والسنة وقول العلماء الألمعية . ومن اقتفى أثرهم من الفضلاء والصوفية . فاعلم ذلك والله الموفق للصواب . الحافظ من الأوصاب!

القسم الأول

فى معرفة اشتقاقه وأقسامه . وذكر تفصيل حروفه وتعلق أقسامه ومقتضى أحكامه

قال الله تعالى ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقال تعالى ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَارَيْبَ

(١) هنا سقط بالأصل لم نتمكن من الوقوف عليه لعدم وجود نسخ لهذا الكتاب بسائر دور الكتب المصرية

فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً﴾ وقال تعالى ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ وقال تعالى ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً﴾ وقال تعالى ﴿وَهُوَ اللهُ فِى السَّمٰوَاتِ وَفِى الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَاتَكْسِبُونَ﴾ وقال تعالى ﴿إِنَّنِى أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى﴾

فتنبه أيدك الله تعالى فى هذه الآيات وفى أمثالها كيف ابتدأ فيها بذكر اسم الله . ونفى ماسواه . وإثباته إياه . فكل اسم من أسمائه إن أظهره فهو صفة هذا الاسم ونعته . وإن أظهره بالهاء فهو عائد عليه وهو منه وإليه فانه لايتم ذكره إلا باظهار الهاء وسيأتى ذكر ذلك والكلام على حروفه مبينا إن شاء الله تعالى وقوله ﴿وَهُوَ اللهُ فِى السَّمٰوَاتِ وَفِى الْأَرْضِ﴾ كقوله ﴿وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ إِلٰهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلٰهٌ﴾ أراد فيهما معرفته بالألوهية . وعبادته . وذكره . وفعله . وحكمه . وأمره

وقال صلى الله عليه وسلم (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَاإِلٰهَ إِلَّا اللهُ) وفى رواية أخرى (حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَيُؤْمِنُوا بِى وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ)

وقال عليه السلام لمعاذ بن جبل (يامُعَاذُ مامِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّٰهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللّٰهُ عَلَى النَّارِ فَقَالَ يَارَسُولَ اللّٰهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِذًا يَتَّكِلُوا)

وقال عليه الصلاة والسلام (أَفْضَلُ مَاقُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ)

وقال عليه السلام لأبى هريرة رضى الله عنه (مَنْ لَقِيتَهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ الحديث)

فتأمل وفقك الله تعالى كيف اشترط الله ورسوله العلم فى التوحيد. والعبادة فى المعرفة. قال الله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ﴾ وقال عليه السلام (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) وفى رواية (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ) والشهادة هى العلم. قال الله تعالى ﴿وَمَاشَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ وقال الله تعالى ﴿وَمَاخَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ومعناه ليعرفون. وقال عليه السلام لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَاتَدْعُوهُمْ

إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللّٰهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللّٰهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللّٰهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فَرَائِضَ الحديث)

فبين وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم بالتوحيد وجميع الرسل عليهم السلام قد اجتمعوا على دعواهم الخلق إلى التوحيد. كما أخبر الله تعالى بقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وقال عليه السلام (أَفْضَلُ مَاقُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي الحديث) ولاخلاف بين الرسل فى التوحيد. وإنما اختلفت شرائعهم ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ولا إله إلا الله هى لاستنقاذ الذات المحدثة من العذاب الأدنى فى الحال. ومن العذاب الأكبر فى عاقبة المآل. وعلى النطق بها بنى الاسلام. وعلى قواعدها والعمل بمقتضاها بنى الايمان. وعلى فهم عقائدها والجمع بينهما بنى الاحسان. ومن شهود شرفها يترقى إلى مبادى الايقان. فقولها إسلام. وعملها إيمان. وفهمها إحسان. وتحققها إيقان. وظاهرها عنوان الاسعاد: فظاهرها عالم الملك بداية للشهادة. وباطنها فهم المراد بها فى عالم الملكوت وبسط للمعرفة. وحقيقتها كشف معانى أسرارها فى عالم الجبروت نهاية للشهادة. فهى فى الدنيا عقد الجنان. على مقتضى